بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود]

obeikandi.com

obeikandl.com

إهداء

إلى سَحَرة فرعون

الذيــن تَحدَّوا الطاغية و ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ [طه].

obeikandl.com

مقدمة

■ ■ ■

أعوذُ بالله من غضب الشُّعراء!

إنَّ كيدهم عظيم، وخطرهم شديد، وشرهم مستطير .. وهجاءهم من سِجِّيل!

أسعد الناس من يَتَّقِي شرهم .. فلا يتخذ منهم صديقاً، ولا يعرف لهم طريقا!

ولا يزال المرء بخيرٍ؛ ما لمْ يتعرض لهم أوْ يصيبهم بأذى!

ربما يكون -الشَّاعر- رومانسياً حالِماً، أوْ عابداً زاهداً ... فإذا ما غَضِبَ .. سرعان ما يمسك بِمُسَدَّسِه ويطلق النار في قارعة الطريق على المارة!

أوْ ربما يتحول إلى زجاجة حارقة، وعبوة ناسفة، وقنبلة موقوتة!

ولا يبقى في قاموسه سوى لغة الشتيمة، وضرب النعال! ومن ثمَّ تصير قصائده عواصفاً ترابية، وحِمَماً بركانية، ورِيحاً صَرْصَراً تقتلع البيوت والأشجار والصخور، وتدمِّر كل شيء في طريقها!

لماذا يغضب الشُّعراء؟!

ما هي الدوافع النفسية والاجتماعية والسياسية التي جعلت الشعراء يحملون راية العصيان؟ وأجبرتهم على كتابة قصائد الهجاء المسمومة؟ التي يُعَدّ اقترافها من «الكبائر» أوْ من «المحظورات» في أحسن الأحوال! وما هي الأسباب التي أرغمتهم على كتابة هذا اللون الشِّعري، وساقتهم إليه رغماً عنهم؟ فراحوا يقذفون بقصائدهم الحارقة التي جَرَّتْ عليهم كثيراً من الأزمات والمصائب؛ كالسِّجن والنفي والمطاردة والتشريد والتصفية الجسدية!

* * *

هؤلاء الشُّعراء لا يتصنَّعون «الشِّعر الممنوع» ولا يتكلَّفونه كغيره من الأغراض الشعرية الأخرى، إنما يفرض نفسه عليهم فرضاً .. فهم مُسَيَّرون لا مُخيّرون في هذا الأمر، وإنهم مُساقون إليه سوقاً، ومدفوعون إليه دفعاً .. ربما لسوء الأحوال الاجتماعية وتدهور الأوضاع السياسية، أو ربما بسبب طبيعتهم النفسية القلقة، أوْ بفعل شياطينهم المردة، أوْ بسبب قسوة الحياة، ووحشية المجتمع، وضراوة الأنظمة الحاكمة، ووعورة الطريق التي يسلكونها!

اللافت للانتباه؛ تواتر شعراء الرفض في العالم العربي في شتى الأزمنة، ولا يزالون يُعلِنون عن غضبهم الشديد، ومعارضتهم المستمرة لكثير مما يجري حولهم!

فالشَّاعر العربي جُبِلَتْ نفسه على خلق هذا اللون الشِّعري «المُزعِج»! فيرى نفسه مشدوداً إليه شداً، بحكم الطبيعة النفسية المصاحبة له! ومدفوعاً إليه دائماً بدافع قهري. فعندما تلح عليه فكرة القصيدة أو موضوعها، لا يستطيع صدها أوْ منعها أوْ حتى تأخيرها .. إنها لحظة المخاض -كما وصفها الشعراء أنفسهم! فلابد لهذا الجنين أن يخرج إلى النور على الفور سواء كانت ولادته عادية مُيسّرة، أوْ قيصرية مُتعسِّرة .. المهم أن يخرج هذا الكائن إلى الحياة. أمَّا عن اسمه ورزقه وأجله؛ فهذه مسائل أخرى تتضح معالمها فيما بعد الولادة .. حيث يبدأ صراع هذا «الوليد» الشِّعري مع الوجود الخارجي المُلَبَّد بالسحب الداكنة، والعواصف الهوجاء، والحفر والمطبّات الصناعية. ولطالما أمسى هذا الوجود الخارجي في حالة لا تسمح له بقبول هذا الوليد أوْ منحه مكاناً تحت النور، إمَّا لسبب راجع إلى الشِّعر نفسه، أوْ إلى المجتمع، أوْ إليهما معاً!

***

في العصور الماضية: كان «الشِّعر السياسي» أشبه بمعارك شخصية، أوْ تصفية حسابات بين «الشَّاعر» و«الديكتاتور»! لذا .. غلب عليه طابع «الكَتْم» وكان

يصعب العثور عليه! فأغلبه تعرَّض للضياع والتلف والتشويه، أوْ الإحراق، أوْ الإغراق، لأنه ذو طبيعة معينة، وموضوعاته ذات مغزى ودلالة على طبيعة العصر، فهو أشبه بالقنابل والمتفجرات، أوْ هو كالسلاح غير المرخص به، فيتحول عندئذ إلى «السوق السوداء» ويتداول بين الناس سراً وعلى حذر شديد!

أمّا في الحقب الأخيرة: فقد عَبَّرَ الشِّعر عن الهمّ الجماعي .. هموم الوطن والأُمَّة!

فالشَّاعر المعاصر لَمْ يرَ حوله إلاَّ النكسات المتعاقبة التي تُوِّجَتْ بسقوط الخلافة الإسلامية، ثم سقوط العواصم العربية والإسلامية الواحدة تلو الأخرى غنيمة باردة بأيدي الاستعمار الذي حسمها بزرع الكيان الصهيوني «إسرائيل» في قلب العالم العربي!

لَمْ يشاهد الشَّاعر -خلال القرن العشرين- سوى غارات متتالية على بلاده وأُمته، ومجازر بشرية هنا وهناك، واعتداءات سافرة على الإسلام وشريعته، وهو في تلك الأثناء مُكَمَّم الفم، مكتوف اليديْن .. بَلْ يواجه التشريد من الأوطان، والإقصاء التعسفي من داره أوْ عمله، ويُحَمَّل مسئولية ما فعله السفهاء من قومه!

فأينما تقع عيناه يرى جماجم إخوانه هنا وهناك، ويبصر دماءهم تنهمر من كل حدبٍ وصوب، ويسمع كل يوم عن المجازر الجماعية التي يتعرض لها إخوانه في العقيدة، دونما ذنبٍ اقترفوه .. إلاَّ أنْ قالوا ربنا الله !

لقد رأى هول فلسطين وما جرى لها، ودماء البلقان .. وسمع أنين الشيشان، وصراخ كشمير، وعذابات العراق، وصرخات آلاف الذين يُساقون إلى المشانق، لأنهم جهروا بكلمة الحق، أوْ جأروا من الظلم الواقع بهم!

عندما يرى ويسمع الشَّاعر تلك التناقضات الصارخة التي تحيط به وبمجتمعه .. ماذا يُنتظَر منه؟ وكيف لا تثور عاطفته ولا ينبعث شعوره ولا يتميز من الغيظ .. فتتحول أشعاره إلى زجاجاتٍ حارقة، وعبواتٍ ناسفة؟!

ماذا فعل الشُّعراء أمام هذا كله؟ لقد امتطوا جواد الشِّعْر، وأطلقوا له العنان، فجاشتْ قرائحهم، وفاضتْ عواطفهم .. فعبَّروا عن مشاعر إخوانهم .. آلاماً وآمالاً!

أخيراً، أرجو أن يكون التوفيق حالفني في ما قصدتُ إليه من تأليف هذا الكتاب الذي يحوي بين دفّتيْه -لا أقول أشعاراً نارية- بَلْ أكباداً تحترق، ومُهَجاً تتلظّى!

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾

مُحمّد عبد الشّافي القُوصِي؛
E: aldohapress@hotmail.com
ص. ب١٦٢ المهندسين/ جيزة

openkandl.com